أصحاب الخبر والعيون في العصر الفاطمي
(٢٩٧ :٥٦٧ هـ / ٩٠٩ : ١١٧١ م)

د. يمني رضوان (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ؛ وبعد . . . فهذا البحث يتناول نماذج لأصحاب الخبر والعيون في العصر الفاطمي ، يتجلى فيه مدى أهميتهم في تثبيت دعائم الدولة الفاطمية ، والحفاظ على حياة الخلفاء الفاطميين وكشف المناوئين لهم والمخالفين لمذهبهم ، ولم يقتصر اعتماد الفاطميين في إنجاز بعض المهام على العاملين في ديوان البريد ، وإنما كانوا يكلفون أشخاصاً من خارج هذه الوظيفة لتنفيذ المهام المطلوبة منهم ، وكان لابد من توافر بعض الصفات في مَنْ يتم اختياره لأداء هذه المهمة مثل الثقة ، والفراسة ، والكتمان ، والصبر وقوة التحمل حتى لا يبوحوا بأسرار الدولة إذا اكتُشِف أمرهم ؛ كما كانوا يستعينون أيضا بالدعاة لتحقيق بعض المهام .

وقد كان لعيون الفاطميين أثناء تواجدهم ببلاد المغرب دورمهم في مراقبة قبائل البربر الخارجة على طاعتهم ، كما كان لعيون الفاطميين دور مهم في معرفة أخبار مصر والأندلس ، وذلك لرغبة الفاطميين في بسط سيطرتهم عليهما ، كما استخدم الفاطميون عيونهم لكشف المخالفين للمذهب الإسماعيلي من الفقهاء والمفتين والقضاة والمؤذنين ، واستعان أيضاً الخلفاء الفاطميون بعد انتقالهم إلى مصر بأصحاب الخبر والعيون في أداء العديد من المهام كما سنرى.

موضوع البحث :

نبذة عن أصحاب الخبر وعيون الفاطميين:

كان لأصحاب الخبر والعيون [١] أهمية بالغة في العصر الفاطمي ، وصاحب الخبر هو رئيس ديوان البريد [٢] ، ويُعد منصبه أحد المناصب المهمة في الدولة من حيث علو المنصب [٣] . وكان صاحب الخبر يرأس عدداً من رجال البريد عُرف بعضهم باسم العيون نظراً لقيامهم بأعمال الشرطة السرية [٤] . وكان من مهام صاحب

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد – آداب الفيوم .

الخبر إعطاء الخليفة صورة واضحة عن عُمال الأقاليم ، وعن كافة أحوال البلاد ؛ حتى يستطيع الخليفة أن يدرك كل حدث في وقته، وكان صاحب الخبر يتلقى هذه الصورة من عيونه المنتشرين في أنحاء الأقاليم [٥].

وبهذا كان صاحب الخبر هو جاسوس الخليفة ، وبمثابة عينه المُبصرة وأذنه السامعة ، ينقل إليه أخبار الدولة بأسرها [٦] ، لهذا كان عليه هو وعيونه أن يكونوا " أمناء عقلاء نصحاء صدق حتى لا يتطرق الكذب إلى أخبارهم ويكون ضررهم أكبر من نفعهم " [٧] .

وهناك صفات شخصية متعددة يجب توافرها في العيون ؛ نظراً للمهام العديدة المتنوعة التي كانوا يُكلفون بها [٨] ، ومن هذه الصفات أن يكون متمتعاً بالحدس الصائب والفراسة التامة ليدرك ما كتمه العدو ولم ينطق به ، وذلك بأن يستدل ببعض الأمور على بعض . وأن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة .وأن يكون ذا معرفة بالبلاد التي يتوجه إليها وعلى علم ومعرفة بلغة أهل هذه البلاد وأن تكون لديه القدرة على الصبر والتحمل ، حتى إذا ظفر به العدو لا يبوح بأحوال مرسله ولا يُطلعه على وهن فيه أو في جيشه [٩] .

وتعد الثقة هي الشرط الأساسي الواجب توافره في صاحب الخبر وعيونه ، فقد ذكر قدامة بن جعفر " أن يكون ثقة ، إما في نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر في وقته ، لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ "[١٠] .

ويتضح لنا مدى أهمية وضرورة توافر شرط الثقة في صاحب الخبر ، من الحوار الذي دار بين الخليفة المعز لدين الله الفاطمي والأمير الصنهاجي يوسف أبى الفتوح (بُلكين) بن زيري بن مُناد الصنهاجي ، وذلك عندما استدعى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الأمير" يوسف بن زيري" وكلفه بحكم بلاد المغرب لأنه قرر المسير إلى مصر ، فوافق " يوسف بن زيري" على حكم بلاد المغرب ولكن بشرط أن يقوم الخليفة باختيار القاضي وصاحب الخراج وفقاً لما يراه ، أما صاحب الخبر ، فيولي من يثق به [١١] .

دور العيون فى القضاء على مؤسس الدولة الفاطمية وأخيه :ـ

كان لأبى عبد الله الشيعى الدور الأساسى فى قيام الدولة الفاطمية ، وعلى الرغم من هذا كانت نهايته على يد أول خلفاء الدولة الفاطمية ، فقد توترت العلاقات بينهما وكان العامل الرئيسى فى ماوصلت إليه العلاقات إلى هذا الحد هو أبو العباس الأخ الأكبر لأبى عبد الله الشيعى الذى ازداد نفوذه وسلطاته فى بلاد المغرب قبل قدوم المهدى ـ نظرا لتقدير واحترام ابو عبد الله له ـ وخاصة خلال الفترة التى غابها أبو

عبد الله ــ وتقدر بأربعين يوماً ــ لإطلاق سراح الإمام المهدى من سجن سجلماسة ، غير أنه ما أن تسلم المهدى مقاليد الحكم فى رقاده ومارس سلطاته حتى دبت الغيره والحسد فى نفس أبى العباس وعظم عليه انتزاع السلطة منه ، فأخذ يتطاول فى الحديث على المهدى فى مجلس أخيه ، حتى أن أبا عبد الله لهذا قرر المهدى التخلص من أبى العباس وأخيه أبى عبد الله أيضاً وذلك حتى لايثأر لأخيه الذى كان يُعظمه [١٢]، فبدأ بانتزاع السلطات منهما ومما يؤكد هذا العبارة التى قالها أبا عبد الله للمهدى وهى : " يامولانا ، لو كنت تجلس فى قصرك وتتركنى مع كتامة ،آمرهم وأنهاهم على حسب ماعودتهم ، لأنى عارف بأخلاقهم لكن ذلك أهيب لك فى أعين الناس " ، ثم كلف المهدى "القائد غزويه بن يوسف الكتامى " بقتلهما وكان غزويه هو عين الخليفة عليهما هو الذى نقل له كل ماكان يدور فى مجالسهما من تطاول عليه ، ومن تدبيرهما مؤامره لقتله . وبالفعل نجح غزويه فى قتلهما سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م وقد ناشد أبو عبد الله الشيعى "غزويه بن يوسف " بالايقتله فقال له الذى أمرتنا بطاعته أمرنى بقتلك [١٣] .

مدينة المَسيلة [١٤] مركزاً لعيون الفاطميين بالمغرب الأوسط :

بث الفاطميون عيونهم في منطقة تاهرت [١٥] ــ بعد قضائهم على الدولة الرستمية ــ لمراقبة تحركات الزناتيين [١٦] ــ حلفاء الأمويين في الأندلس ــ الذين خرجوا على طاعة الفاطميين لعدة أسباب منها :

ــ اعتماد الفاطميين على رجال قبيلة كتامة المتشيعة ، وإسناد المناصب المهمة لهم ؛ وذلك لأن كُتامة وصنهاجة كانوا يرون أن الخلافة حقاً شرعياً لعلي بن أبى طالب "رضي الله عنه " وأبنائه [١٧].

ــ سيطرة الفاطميين على عاصمتهم تاهرت ، وعلى طرق تجارة الزناتيين مع بلاد المشرق والمغرب وجنوب السودان ، مما أفقد الزناتيين نشاطهم التجاري الذي كان يعود عليهم بثروات هائلة إبان الحكم الرستمي ، هذا بالإضافة إلى العداء المذهبي .

وقد اتخذ الفاطميون من منطقة تاهرت مركزاً حربياً لمراقبة الزناتيين ، كما اتخذوا منها مركزاً تجارياً يشرفون منه على قوافل التجارة المتجهة نحو المشرق والمغرب وبلاد السودان الغربي ، لهذا قامت قبيلة زناتة بعدة محاولات لاسترداد المغرب الأوسط غير أنها استعصت عليهم ، وعلى الرغم من نجاح **محمد بن خزر** المغراوي ــ من قبائل زناتة ــ [١٨] في إحراز بعض الانتصارات في أحواز المغرب الأوسط على الدولة الفاطمية الناشئة لكنها لم تكن انتصارات حاسمة .

أدت الغارات الكثيرة التي شنها الزناتيون بزعامة محمد بن خرز المغراوى على تاهرت إلى أن حرص الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي على إسناد حكم المغرب الأوسط إلى حُكام أقوياء ، لهذا عزل أبو حميد دواس اللهيصي حاكم تاهرت في ظل الحكم الفاطمي ، وأمر بقتله لضعفه في مواجهة الزناتيين ، وعين بدلاً منه مصالة بن حبوس المكناسي ، الذي سرعان ما إنهزم أمام الزناتيين ؛ و قُتل على يد محمد بن خرز المغراوي سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٣م [١٩] .

تكررت هجمات الزناتيين بزعامة محمد بن خَرز الزناتي على مدينة تاهرت، ونجحوا في قتل الكثير من عسكر كُتامة [٢٠] ، مما اضطر الخليفة عبيد الله المهدي إلى إسنادها إلى ابنه، وولي عهده أبي القاسم الذي لُقب فيما بعد بالقائم بأمر الله ، وقد حدد أبو القاسم برمحه في الأرض صفة مدينة وسماها المحمدية [٢١] ــ وهى المسيلة [٢٢] .

وقد قام أبو القاسم بتكليف علي بن حمدون[٢٣] الجذامي الأندلسي ببناء قاعدة حربية في إقليم الزاب [٢٤] بالمغرب الأوسط ؛ للتصدي لقوات زناتة ومنع الميرة عنهم ، ومراقبة المسالك الواقعة في مضارب زناتة وفروع البتر الأخرى.

كان على بن حمدون وأسرته من عيون الفاطميين في الأندلس ، فقد نجح دُعاة وعيون الفاطميين في جذب عددٍ محدودٍ من أهل الأندلس إلى مذهبهم ، من أشهرهم القائد علي بن حمدون المعروف بـــأبي عبد الله الأندلسي [٢٥] ويُرجح بعض المؤرخين أن أسرة حمدون كانت تدعو سراً للمذهب الإسماعيلي في الأندلس [٢٦] الذي كان معظم سكانه يدينون بالإسلام على المذهب المالكي [٢٧] ، ثم اتجه علي بن حمدون إلى بلاد المغرب [٢٨] .

قام القائد على بن حمدون بتنفيذ أمر أبي القاسم بن الخليفة عبيد الله المهدي ، وبنى مدينة المسيلة ــ عاصمة بلاد الزاب بالمغرب الأوسط ــ كما قام بتحصينها ، وشحنها بالأسلحة والأقـــوات [٢٩] . وتقع مدينة المسيلة شمال مدينة بسكرة ــ إحدى مدن الجزائر ــ ويفصل بينها وبين قسنطينة جبل متصل [٣٠] ، وقد أطلق الخليفة القائم بأمر الله فيما بعد على مدينة المسيلة أسم مدينة "المحمدية " ، وذلك سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م [٣١]. وقد كان لأسرة بني حمدون سلطات مطلقة مدنية وعسكرية تتلخص سلطتهم المدنية في إدارة شئون المناطق الخاضعة لسلطتهم ، أما سلطات بني حمدون العسكرية ، فهدفها الأساسي مراقبة تحركات قبيلة زناتة وغيرها من القبائل المقيمة في مناطق نفوذهم والتصدي لهم وإجهاض مطامعهم وإخضاعهم باستمرار لسلطاتهم . والدفاع عن الدولة الفاطمية ضد القبائل الصحراوية التي كانت تَشن غارات تهدد أمن وسلامة الفاطميين في إفريقية [٣٢].

لم يقتصر دور بني حمدون العسكري على ما ذُكر من قبل بل امتد إلى إمداد جيش الخلافة بالجنود من مدينة المسيلة عند الحاجة ، ويتضح لنا ذلك من حروب الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م مع أبى يزيد مخلد ، فقد أرسل الخليفة القائم إلى مدينة المَسيلة وغيرها لجمع الجند لمحاربة أبى يزيد فقد كانت الحرب سجالاً بين الخليفة القائم وأبا يزيد مخلد ، يقول المقريزي : " وكان القائم قد بعث يجمع العساكر من المسيلة وغيرها فاجتمع له خلق كثير ،. . . " [٣٣] وهذا يؤكد أن مدينة المسيلة كانت مركزاً لشحن الجنود عند الحاجة إليهم ، فكانت مدداً للخليفة المنصور في حصار الثائر أبى اليزيد [٣٤] مخلد بن كيداد [٣٥] . وبهذا كان لبنى حمدون دوراً كبيراً في تثبيت دعائم الفاطميين ببلاد المغرب ، وفي القضاء على خصومهم .

وفي نفس العام نجح الخليفة المنصور في الانتصار على محمد بن خزر المغراوى الذي كان يريد نصرة أبى يزيد ، وأرسل محمد بن خزر أمير مغراوة رسلا إلى الخليفة الفاطمي المنصور ــ أثناء نزوله بمدينة طُبنة بالزاب ــ يعلن خضوعه إليه [٣٦] .

استمرت أسرة بني حمدون تقدم خدمات جليلة للدولة الفاطمية حتى أواخر عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، غير أنه بمرور الوقت لم يستمر الأميرجعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي ــ صاحب مدينة المسيلة وأعمال الزاب خلفاً لوالده ــ على ولائه للفاطميين، ففي سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م تقريباً [٣٧] انحاز إلى بني زناتة وذلك نظراً لعدة أسباب أهمها:تقرب زيري بن مُناد الصنهاجي من الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، فاستاء "جعفر بن على بن حمدون " من موقف الخليفة المعز لدين الله الفاطمي [٣٨] .وشعر جعفر أنه لم يعد آمناً في بلاده، فغادر إفريقية [٣٩] لاجئاً إلى الخليفة الأموي الحكم الثاني المستنصر بالله (٣٥٠ : ٣٦٦ هـ / ٩٦١ : ٩٧٦ م) في الأندلس ، الذي رحب به نظراً لعداوته الشديدة للفاطميين، فقد كان الخليفة الأموي الحكم الثاني المستنصر بالله يرى في المذهب الشيعي الإسماعيلي نوعاً من الكفر والخروج على الإسلام وأن حربهم وأتباعهم جهاد في سبيل الله . وبعد رحيل جعفر بن على بن حمدون ثار الزناتيون في افريقية وتاهرت ، فتصدى لهم يوسف أبو الفتوح (بُلكين) بن زيري (٣٦٢ : ٣٧٣ هـ / ٩٧٢ : ٩٨٣ م) [٤٠] .

دور العيون فى كشف حركة التشهير بالفاطميين في عقر دارهم بالمسيلة:

كانت مدينة المسيلة مركزاً لعيون الفاطميين لتتبع قبائل المغاربة الخارجين على طاعة الفاطميين ، أيضاً كان لعيون الفاطميين دوراً كبيراً في إبلاغ الخليفة المعز

لدين الله الفاطمي بالتحالف الذي تم بين جماعة من المالكية المقيمين في مدينة المُحمدية يتزعمهم شخص اسمه عثمان بن أمين[٤١] ومالكية بني أُمية ، وقيامهم بحركة تشهير كبرى ضد الفاطميين في مدينة المحمدية ، وما إن علم بذلك الخليفة المعز لدين الله الفاطمي عن طريق عيونه،حتى طلب من الأستاذ جوذر [٤٢] أن يتحرى عن أسباب تأخر جعفر بن حمدون(ابن الأندلسي) ــ صاحب المحمدية وأعمال الزاب ــ في القضاء على هذه الحركة والقبض على زعيمها [٤٣] .

ديوان الكشف ومحنة المالكية:

لم تقتصر مهمة العيون على كشف قبائل المغاربة المعادية للدولة الفاطمية ، أو على كشف المؤامرات المُحاكة ضدهم في عُقر دارهم ، وإنما كُلفوا بكشف المخالفين لمذهبهم ، فقد بث الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي عيونه لكشف المخالفين للمذهب الإسماعيلى من الفقهاء والمُفتيين والقُضاة والمؤذنين ، واستحدث لذلك ديواناً عُرف بديوان الكشف ، مهمته رصد أخبار المخالفين للمذهب الإسماعيلى . وقد أسند هذا الديوان إلى رجلين من أعوان الفاطميين ، هما : أبى جعفر محمد بن أحمد البغدادي و عِمْران بن أبى خالد بن أبى سلام وذلك في سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، وكان عمل هذا الديوان يتلخص في قيام العيون بجمع الأخبار، ثم توصيلها إلى العاملين في هذا الديوان [٤٤]. وقد علم أبو عبد الله الشيعي عن طريق عيونه أن هناك أشخاصاً من المالكية عابوا في التشيع ــ مثل أبى إسحاق إبراهيم بن البرذَوْن [٤٥] وهو من أعلام المالكية وصديقه الفقيه أبى بكر بن هُذَيل ــ فأصدر أمره بقتلهم [٤٦] ، وقد حاول الحسن بن أبى خنزير[٤٧] عامل الخليفة المهدي على القيروان قبل قتلهم إثنائهم عن المالكية لكنهم رفضوا ، فأرسل الخليفة عبيد الله المهدى إلى عامله على القيروان رسالة بشأن الفقيهين أبى إسحاق بن البِرْذَوْن و أبى بكر بن هُذَيل قال له فيها : " يدخلان في الدعوة أو يضربان بالسياط حتى يموتا " فعرض عليهما ذلك ، فقالا : ما نترك الإسلام " ، فقيل لهما : " قولا للناس ولا تفعلا فقالا : "يقتدي بنا فيما نقل " . . .عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة " [٤٨] فقتلا ثم ربط جسداهما بالحبال ، وجرتهما البغال بالقيروان وصلبا نحو ثلاثة أيام ، ثم أنزلا فدفنا " [٤٩] . لذلك عُرف عصر الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي بعصر محنة المالكية.

استغلال مهمة العيون في الافتراء على بعض الأشخاص :

اتبع الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي سياسة الشدة والعنف تجاه المناوئين له، والمخالفين لمذهبه وسياسته، وقد استغل هذه السمة قاضى الفاطميين محمد بن عمران المَرْوَزِيّ[٥٠] وادعى أن العيون قد شهدوا على "أبى جعفر محمد بن خيرون" ــ أحد

أبناء الأندلسيين المقيمين بالقيروان ، وصاحب مسجد وعدة فنادق أسسها بالقيروان لاستضافة الأندلسيين عند زيارتهم القيروان[٥١] ــ بانه كتم أمر وديعة كانت في عهدته، لهذا أمر الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي " الحسن بن أبى خنزير "بقتله، [٥٢] فعذبه إلى أن مات ، وأشرف القاضي المروزي على تنفيذ الحكم، ولم يتركه إلا جثة هامدة من أثر التعذيب ، وكان ذلك في سنة ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م[٥٣] .

ويبدو أن السبب الذي عُذب من أجله ابن خيرون إيواءه للعناصر الأندلسية عند نزولها بالمغرب متسترة لأداء مهام سياسية ضد الفاطميين ، أو لأنه كان من الشخصيات المنافسة له. ويبدو أن سبب المنافسة هو السبب الأرجح ، فقد قيل إن الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي حزن عليه لسعة علمه ولولائه للفاطميين حتى أنه كان يرغب في إسناد منصب القضاء له . أما كونه كتم أمر وديعة ، فهذا أمر مُستبعد نظراً لثراء ابن خيرون [٥٤] .

دور العيون في بث تعاليم الفكر الإسماعيلى في الأندلس ومعرفة أحوالها تمهيداً للإستيلاء عليها :

لم تقتصر مهمة عيون الفاطميين على الحفاظ على استقرار الحكم في بلاد المغرب ، وإنما كان لهم دوراً أساسياً في معرفة الأحوال السياسية والاقتصادية والدينية لبعض المدن ومواطن الضعف والقوة فيها تمهيداً لغزوها عسكرياً وبسط سلطانهـــم عليهـــا مذهبيـــاً [٥٥] .

ومن هذه المدن التي حرص الخلفاء الفاطميون على مد سلطانهم إليها الأندلس ومصر وذلك لأنهم أيقنوا أن بلاد المغرب لا تصلح لأن تكون مركزاً لدولتهم، وذلك لضعف مواردها وكثرة ما بها من ثورات واضطرابات [٥٦] ؛ هذا بالإضافة إلى أن الدولة الفاطمية كانت تهدف إلى القضاء على المذهب المخالف لمذهبها [٥٧] ، ويبدو أن هدف الفاطميين كان السيطرة على العالم الإسلامي كله ، فقد كانوا يرون أنهم أصحاب الحق الشرعي الوحيد في حكم هذا العالم الإسلامي ، ولابد من إخضاعه لرايتهم [٥٨].

لكل ما سبق جندت الدولة الفاطمية عيوناً لحسابها الخاص لبث تعاليم الفكر الشيعي الإسماعيلي في بلاد الأندلس و مصر ، ولمعرفة أحوال هذه البلاد [٥٩] ، تمهيداً للاستيلاء عليها ، فكان عيون الفاطميين ودعاتهم يجوبون شبه جزيرة أيبيريا من أقصاها إلى أقصاها في زي التجار[٦٠] ، وذلك لستر أهدافهم الحقيقية بستار من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم [٦١] ، ومن أشهر عيون المشارقة في بلاد الأندلس .

أبو اليسر الرياضي:

هو إبراهيم بن محمد الشيباني البغدادي ، كنيته" أبو اليسر ولقبه "الرياضي"، وهو من أول العيون المشارقة في الأندلس ، وقد غادر هذا الأديب مسقط رأسه بالمشرق واتجه نحو الأندلس ، غير أن الأمير الأموي محمد الأول بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨ : ٢٧٣ هـ /٨٥٢ : ٨٨٦ م) كشف أمره مما أضطره إلى مغادرة الأندلس[٦٢] ، والاتجاه إلى مصر وأخذ يدعو للمذهب الإسماعيلي بين أهالي مصر ، فأمر أحمد بن طولون (٢٥٤ : ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ : ٨٨٣ م) بحبسه ، غير أنه نجح في الهروب من السجن بمصر وفر إلى القيروان حيث استقر به المقام [٦٣] وألف العديد من المصنفات الأدبية واللغوية وكتباً في الحديث والتفسير ، فأسند إليه حاكم الأغالبة إبراهيم (الثاني) بن أحمد (٢٦١ : ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ : ٩٠٢ م) ديوان الرسائل ، وقد استمر أبو اليسر يعمل في هذا الديوان في عهد عبد الله بن إبراهيم (٢٨٩ : ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ : ٩٠٣ م) ثم في عهد زيادة الله بن عبد الله (٢٩٠ : ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ : ٩٠٩ م) أخر حُكام الأغالبة ، وكان زيادة الله قد أسند إليه بيت الحكمة إلى جانب الكتابة ، ولما آلت الخلافة إلى عبيد الله المهدي أقره في منصبه الذي استمر يعمل به حتى وفاته سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م . [٦٤] .

أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي[٦٥] :

استعان به الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي بعد موت أبى اليسر ، فتمكن من دخول الأندلس أكثر من مرة للتجسس لحساب الخليفة الفاطمي ، وقد كان مستتراً تحت طلب العلم ، فقد تظاهر بأن الهدف من الزيارة الاستزادة من العلم ، وقد نجح في مهمته ونشر تعاليم المذهب الإسماعيلي ، وحصل على معلومات في غاية الأهمية خاصة بأوضاع الأندلس السياسية والاجتماعية والدينية ، ومما يؤكد هذا ترحيب الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي به عند عودته إلى بلاد المغرب سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ومكافأته له [٦٦] ، فقد أسند إليه ديوان الرسائل، فقام بمهمته على أكمل وجه ، فأضاف إليه منصب رئيس ديوان البريد الذي يُعد من أكبر دواوين الدولة الفاطمية [٦٧] ، هذا إلى جانب المناصب المتعددة التي أسندت إليه ، منها على سبيل المثال تعيين الشخصيات المناسبة في القضاء في كافة أقاليم الدولة الفاطمية ، وقد استمر ابن هارون البغدادي يلي منصب رئيس ديوان البريد ، بجانب المهام الأخرى التي أسندت إليه حتى توفي في عهد الخليفة الفاطمي الثالث إسماعيل المنصور (٣٣٤ : ٣٤١ هـ/ ٩٤٥ : ٩٥٢ م) [٦٨] .

أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي[٦٩] : ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م [٧٠] :

ومن عيون الفاطميين الذين جُندوا أيضاً للتجسس على الأمويين بالأندلس كان ابن حوقل عيناً للفاطميين ، ومما ساعده على ذلك أنه رحالة من علماء البلدان وتاجراً، رحل من بغداد سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م ودخل المغرب وصقلية [٧١] ثم تمكن ابن حوقل من دخول قرطبة [٧٢] سنة ٣٣٧ هـ /٩٤٧م ، خلال خلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله [٧٣] (٣٠٠ : ٣٥٠ هـ / ٩١٢ : ٩٦١ م) وتظاهر بأن هدفه هو التجارة ، فقد دخل الأندلس في زى تاجر موصلي ، ولكنه في حقيقة الأمر دخل للتجسس على أخبار وأحوال الأمويين وبلادهم لنقلها للخليفة الفاطمي المنصور بنصر الله (٣٣٤ : ٣٤١ هـ / ٩٤٥ : ٩٥٢ م) الذي كان يخطط لشن هجوم على هذه البلاد [٧٤].

قدم ابن حوقل تقريراً للفاطميين تناول فيه أحوال الأندلس السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ، ومما جاء في هذا التقرير :

" ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هى في يده مع صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم ، وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأنجاد [٧٥] والأبطال ، وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها في نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذّاتهـــا " [٧٦].

ثم يصف ابن حوقل جنود أهل قرطبة بأن الشجاعة والفروسية تنقصهم [٧٧]، وهذا الاتهام لا ينطبق على أهل قرطبة ، فهو مُبالغ فيه ، لهذا لم يلق هـــذا التقريـــر التأييد من جانب الحكومة الفاطمية [٧٨] .

لم يكن كل ما ذكره ابن حوقل عن أهل الأندلس صحيحاً للنشاط الواضح في ميدان الجهاد [٧٩] . مما سبق يتضح لنا أن شرط الثقة لم يتوفر في ابن حوقل [٨٠] .

التجسس المضاد ضد الخلافة الفاطمية :

ترتب على استخدام الفاطميين عيونهم في تتبع أخبـــار أهـــل الأنـــدلس ، أن استخدمت الحكومة الأموية في الأندلس نفس أسلحة الحكومة الفاطمية، ودســـت هـــي الأخرى العيون في كافة أنحاء المغرب ، لموافاتها بأخبار وأحوال بلاد المغرب [٨١] .

وهناك أسباب متعددة دفعت الأمويين إلى إرسال عيونهم إلى الدولة الفاطمية منها :

ـــ أسباب دينية تتمثل في الخلاف المذهبي ، وأنهم مُدعين للنسب الشريف [٨٢] .

ـــ وأسباب سياسية تتمثل في العداء القديم بين الأمويين والهاشميين التي تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام .

ـ وأسباب اقتصادية تتمثل في رغبة الأمويين في السيطرة على مناطق مهمة تقع على مسالك تجارة الذهب مثل سجلماسة ـ فاس ـ تاهرت ـ بلاد الزاب ـ إفريقية أو السيطرة على مدن الموانئ المرتبطة بالتجارة الصحراوية .

وقد انتهى الصراع بين الطرفين بقسمة ثنائية لمسالك تجارة الذهب هذه ، إذ ضمن الفاطميون المسلك الشرقي الموصل من سجلماسة إلى القيروان إبان حكمهم للمغرب ثم إلى مصر بعد رحيلهم إليها ، بينما هيمن الأمويون على المسلك الغربي الموصل من سجلماسة إلى موانئ ساحل المغرب الأقصى ومنها إلى قرطبة . ومما لاشك فيه أن الاستئثار بهذه التجارة كانت سبباً من أسباب الصراع ، لما كان للذهب من أهمية بالغة إذ اعتمدت عليه خزائن الدولتين المتصارعتين لسك العملة المتداولة وتغطية نفقات الصراع [٨٣] .

وقد أعان عيون الأمويين في أداء مهامهم ، الجاليات الأندلسية التي هاجرت من الأندلس إلى سَبته Sabta واستوطنتها منذ أيام الجَدب الذي حل بالأندلس ١٣١ : ١٣٦ هـ / ٧٤٨ : ٧٥٣ م [٨٤] . وقد ساعدت هذه الجالية [٨٥] الأسطول الذي أرسله الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر بقيادة " فرج بن عُفير "[٨٦] للاستيلاء على سبته وقد نجح في ذلك سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م [٨٧] ، وكان من أشهر عيون الأمويين : " أبو على حسين بن فتح النكوري " الذي أُخذت سبته على يديه و " محمد بن محمد بن كليب " الذي خرج من القيروان سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م ، واتجه لمقابلة الخليفة عبد الرحمن الناصر وأخبره بأحوال الفاطميين ووفاة خليفتهم القائم بأمر الله ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م وتعيين ابنه المنصور [٨٨] .

عيون الفاطميين في مصر :

لم يكتف الفاطميون بإرسال عيونهم إلى الأندلس ، وإنما أرسلوها أيضاً إلى مصر، لنشر المذهب الشيعي الإسماعيلي ومعرفة أحوالها تمهيداً لغزوها ، وذلك خلال محاولته الأولى لفتح مصر [٨٩] لهذا ما أن علم بذلك والى مصر ذكا الأعور[٩٠] (٣٠٣: ٣٠٧ هـ / ٩١٥ : ٩١٩ م) [٩١] حتى كثف جهوده للكشف عن عيون الفاطميين في مصر ومَنْ يتصل بهم من سكان مصر ، وقد نجح في إلقاء القبض على الكثير من عيون الفاطميين ، وقام بقطع أيدي وأرجل مجموعة أخرى باعتبارهم مفسدين في الأرض [٩٢] .

نماذج لأصحاب الخبر وعيون الفاطميين أثناء وجودهم بمصر :

اشترك بعض خلفاء الفاطميين في الاعتماد على العيون ، لإضفاء لمحة من القداسة على شخصيتهم وإدعاء معرفة الغيب ، مثل الخليفة المعز لدين الله والخليفة الحاكم بأمر الله .

فقد غاب الخليفة المعز لدين الله الفاطمي فترة عن حكم مصر،تقدر بسنة ، وذلك فى العام ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م وقبل أن يختفي الخليفة المعز أحضر قواده وقال لهم : " إن بيني وبين الله عهداً أنا ماضٍ إليه ، وقد استخلفت عليكم ابني نزار فاسمعوا له وأطيعوا " واختفي [٩٣] في سرداب ثم ظهر للناس وأخذ يخبرهم بما حدث أثناء فترة غيابه ، وادعى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أطلعه على هذه الأشياء ، وأنه من الذين على صلة بالله سبحانه وتعالى ، ولكن في الواقع اعتمد الخليفة المعز لدين الله على أصحاب الخبر لإخباره بما حدث أثناء فترة غيابه [٩٤] .

كما اعتمد الخليفة الحاكم بأمر الله على عيونه من الرجال والنساء لمراقبة حركات رجاله والأهالي ، ثم يخبرهم بها في اليوم التالي ليعلمهم أنه على علم بتحركاتهم وحتى يُضفي على شخصيته هاله من التقديس والإجلال [٩٥]. ونحن نعلم أن الشيعة كانت ترى أن الأئمة معصومين عن الخطأ ، ويضفون عليهم صفات التقديس .

أمثلة من سوء أفعال أصحاب الخبر

أ ــ استغلال بعض أصحاب الخبر منصبهم في استنزاف الأهالي مادياً :

يتضح لنا من خلال دراستنا لعهد الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ : ٤١١هـ/ ٩٩٦ : ١٠٢٠ م)، أن صفة الثقة لم تتوفر في الغالبية العظمى من أصحاب الخبر ، كما أن نفوسهم كانت ضعيفة ، فكانوا يبتزون الأهالي مادياً ، وذلك بتهديدهم بإلصاق تُهم بهم هُم منها أبرياء .وما أن علم الحاكم بأمر الله بذلك حتى أمر بقتل أصحاب الخبر عن أخرهم لكذبهم على الناس وكان ذلك سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨م [٩٦] . والأرجح أنه أمر بقتلهم لانكشاف أمرهم .

ب ــ تزييف الأخبار في عهد الحاكم بأمر الله:

حدث في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، نموذج لتزييف الأخبار ، فقد قام صاحب الخبر بكتابة ما جمعه من أخبار وطوى الرسالة وختمها ، وأعطاها إلى قائد القواد ويدعى "غين" ليوصلها إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ، فقام القائد بإعطاء الرسالة إلى كاتبه أبى القاسم الجرجرائي حتى يجد فراغاً فيحملها إلى الخليفة ، فتجرأ الجرجرائي وفتح الرسالة ، فوجد في بعضها ذكر القائد غين بسوء ، فحذف ذلك الجزء من الرسالة وأعاد الختم ، فعلم الخليفة الحاكم بذلك ، فعاقبه على ذلك بان أمر بقطع يديه وكان ذلك في سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م [٩٧] .

دور أصحاب الخبر في احتفاظ الفاطميين ببلاد الشام :

كان لأصحاب الخبر دور أساسي في هزيمة حسان بن مفرج بن الجرّاح [٩٨] الطائي أمير مدينة الرملة بفلسطين ، فقد كتب أصحاب الخبر إلى الخليفة الفاطمي

بمصر الظاهر لإعزاز دين الله سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤م ، بمرض حسان بن مفرج ، فانتهز الخليفة الظاهر (٤١١: ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ : ١٠٣٥ م) الفرصة ، وأرسل إلى أمير الجيوش القائد التركى أنوشتكين الدّزْبَري بمحاربته [٩٩] .

وكان حسان بن مفرج بن الجراح أمير طيئ بالرملة قد ساند الحركات المناوئة للفاطميين ، فساند أبى الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة في خروجه على طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، فقد أقام أمير مكة الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، في مكة وفي العديد من مدن بلاد الشام ، فاستمال الخليفة الحاكم بأمر الله حسان وأبيه مفرج بن الجراح وغيرهما بالأموال ، فتوقفوا عن تأييد أمير مكة الذي أسرع بالاعتذار إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ، فعفا عنه وأعاده إلى إمارة مكة [١٠٠] . ازداد نفوذ بنى الجراح بزعامة حسان بن مفرج بن الجراح الطائي في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ــ ونجحوا في بسط سلطانهم على بعض نواحي جنوب بلاد الشام ، وظلوا مسيطرين عليها حتى سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ، وخلال هذه الفترة تصدى لهم الجيش الفاطمي أكثر من مرة حتى نجح القائد الفاطمي جعفر بن فلاح في هزيمة حسان بن مفرج بن الجراح وقومه الطائيين عند مدينة الرملة ، واستولى على أموالهم وذخائرهم ، وسار إلى دمشق واستولى عليها وتولى إمارتها ، وضعف نفوذ بنى الجراح بفلسطين نظراً للهزيمة التي لحقت بهم على يد الفاطميين [١٠١] .

لما آلت الخلافة الفاطمية إلى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١: ٤٢٧ هـ / ١٠٢٠ : ١٠٣٥ م ، أخذ حسان بن مفرج بن الجراح أمير طيىء يريد الرملة ، ليعيد بسط نفوذه عليها ، وتطلع إلى أكثر من هذا وهو الاستقلال بفلسطين ، لهذا تحالف مع زعماء العرب في الشام مثل : صالح بن مرداس أمير بني كلاب ، وسنان بن عليان أمير الكلبيين ، وعقد اتفاق معهم نص على انتزاع بلاد الشام من الفاطميين وتقسيمها بينهم [١٠٢]على أن تكون فلسطين لحسان بن جَراح ودمشق لسنان بن عليان، وحلب لابن مرداس [١٠٣] .

جهز الخليفة الظاهر جيشاً سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م ، تحت قيادة أُنوشتكين الدزبري للتصدي لحلف عرب الشام وعلى رأسهم حسان بن مفرج بن الجراح وقد دارت بين الطرفين أكثر من معركة ، وأخيراً بلغ إلى علم الخليفة الظاهر عن طريق أصحاب الخبر مرض حسان بن مفرج بن الجراح ، فوجد أن هذه أنسب فترة لشن هجوم عليه ، فابلغ القائد التركي أنوشتكين الدّزْبَري بمحاربته ، وبالفعل نجح الدزبري في إحراز النصر على حلف عرب الشام عند طبرية، وأسرع حسان بن الجراح بالفرار [١٠٤].

الوزير الأفضل يتخذ من والدته عيناً لمعرفة مدى منزلته عند الأهالي:

اتخذ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي من والدته عيناً على الأهالي لمعرفة مدى شعبيته لديهم ،وكان ذلك سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م أثناء حصاره لمدينة الإسكندرية التي التجأ إليها نزار بن المستنصر بالله ــ الذي أدعى أحقيته بالخلافة وتلقب بالمصطفي لدين الله ، فكانت أم الأفضل تتنكر وتطوف كل يوم بالأسواق ، وتدخل الجوامع ، وتزور المشاهد والرُبُط ، وتستعلم بطريق غير مُباشرة عن رأيهم في الوزير ، فالتقت بأصحاب أراء متباينة تجاهه فالتقت بمن يحبه ، كما التقت بمن يلعنه ، أبلغت أم الأفضل ابنها بكل ما سمعت ، لهذا أمر الأفضل بقتل من ذمه ، وقرب إليه مَنْ شكر فيه [١٠٥].

دور العيون في الحفاظ على حياة الخليفة الآمر ووزيره المأمون

كان للعيون دور مهم في الحفاظ على حياة الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ : ٥٢٤ هـ / ١١٠١ : ١١٢٩ م) ووزيره " أبى عبد الله محمد بن أبى شجاع فاتك " المعروف بـ" المأمون بن البطائحي " [١٠٦] ، فقد وصل إلى مسامع الوزير المأمون البطائحي [١٠٧] أن الحسن بن صباح والباطنية يدبرون مؤامرة لقتله هو والخليفة الآمر [١٠٨] وذلك لأن الداعي الحسن بن صباح [١٠٩] رئيس الدعوة الإسماعيلية في أصفهان كان يرى أن المستعلي أغتصب الخلافة من أخيه نزار وذلك نظراً للدور الذي لعبه الوزير الأفضل في تأييده للمستعلي [١١٠] .

وقد كان الحسن بن صباح في مصر عند وفاة الخليفة المستنصر بالله ، وأخذ الدعوة للمستعلي ، فعاد الحسن بن صباح إلى خراسان وأقام في قلعة ألموت ، وتبنى الدعوة لنزار بين الخراسانيين ، وذلك نظراً لأن نزار هو أكبر أبناء المستنصر [١١١]، وهو أحق بالخلافة وفقاً لمبادئ الشيعة الإسماعيلية [١١٢] ، وقد أنكر الحسن بن صباح إمامة المستعلي ثم ابنه الآمر من بعده [١١٣] .اتخذ الوزير (الآمري) المأمون البطائحي حذره من الحسن بن صباح لهذا بث عيونه من الرجال والنساء لمعرفة أخبار ساكنيها تحسباً أن يكون فيهم من هو على صلة بالحسن بن صباح ، فكانت كل أحوال الأهالي في مصر والقاهرة تُعرض على الوزير المأمون البطائحي . لم يكتف الوزير المأمون البطائحي بذلك ، و بث عيونه على مداخل ومخارج البلاد ، وكلفهم بتحري الدقة في كل من يدخل البلاد [١١٤] .

دور العيون في عمل أول إحصاء للسكا

كان لعيون الفاطميين دور في غاية الأهمية ، وهو عمل أول تعداد لسكان مصر ، فقد أمر الوزير المأمون البطائحي والى مصر ووالي القاهرة بتمشيط البلدين وعمل مسحاً شاملاً لهما ، فقد أمرهما " بأن يصقعا [١١٥] البلدين فمضيا لذلك ،

وحررا الأوراق بأسماء جميع سكان القاهرة ومصر ، وذكر خططهما ، والتعريف بكُنية كل واحد وشهرته وصناعته وبلده ، ومن يصل إلى كلّ خط وحارة من الغرباء " [١١٦] .

كما أن المأمون كان له عيون وأصحاب خبر في كل بلد ، فما أن يخرج أي شخص من الباطنية أنصار الحسن بن صباح من قلعة ألموت حتى تأتيه أخبار تحركاته أولا بأول حتى يصل إلى مدينة بلبيس [١١٧] ، فيرسل إليه من يلقى القبض عليه ويأتيه به ، فيقتله [١١٨] .

ونظراً لدقة العيون وأصحاب الخبر في عملهم ، لم يجرؤ أحد من الباطنية أنصار الحسن بن صباح على قتل المأمون البطائحي أو الخليفة الآمر لعدم تمكنهم من دخول البلاد .، ثم توفي رئيسهم الحسن بن صباح بألموت سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤م [١١٩].

ديوان الكشف في مصر:

لم ينشئ الخلفاء الفاطميين ديواناً مماثلاً لديوان الكشف في مصر بعد انتقالهم إليها ، وإذا سألنا لماذا ؟ للرد على هذا السؤال نقول إن الفاطميين وجدوا بعد تعرضهم للعديد من الثورات في بلاد المغرب ـ أنه لا مانع من التنازل عن بعض معتقداتهم المذهبية لضمان استقرارهم السياسي ، لهذا قللوا من تحمسهم المذهبي عندما دخلوا مصر ، كما انهم وجدوا في مصر جماعات مثقفة تصدت لمزاعمهم الشيعية التي كانت تنشط في بعض الأحيان [١٢٠] كما أن الغالبية العظمى من المصريين المسلمين كانوا من أهل السنة [١٢١]، وقد تعهد لهم جوهر الصقلي في كتاب الأمان بأن يطلق لهم الحرية في معتقداتهم الدينية وعلى الرغم من عدم التزام الفاطميين بهذا الكتاب وذلك بأن قصروا المناصب المهمة على معتنقي مذهبهم ، كما أنهم ألزموا القضاة بأن يصدروا الأحكام وفقاً لتعاليم مذهبهم [١٢٢] مما دفع معظم أهل السنة إلى اعتناق المذهب الشيعي الإسماعيلي [١٢٣] ولكن يبدو أنه كان اعتناقاً ظاهرياً لأنه عندما دعا جميع خطباء مساجد القاهرة للخليفة العباسي المستضيء بدلاً من الخليفة الفاطمي العاضد ـ وفقاً لأوامر الوزير صلاح الدين لم يكترث أحد لهذا التغيير [١٢٤]،هذا بالإضافة إلى أن عدد الخلفاء الفاطميين في مصر كانوا أحد عشر خليفة منهم ستة أطفال[١٢٥]، وأن السلطة الفعلية كانت في يد الوزراء الذين كان معظمهم لا يدين بالمذهب الشيعي الإسماعيلي أمثال : الوزير الأفضل الذي قام بالتضييق على المستعلي وابنه الآمر الذي دبر دولته وحجر عليه [١٢٦]. وكان الأفضل منحازاً للمذهب السني[١٢٧] ، فيقول ابن الأثير إن الأفضل " ترك معارضة أهل السنة فى اعتقادهم ، والنهى عن معارضتهم وإذنه للناس فى إظهار

معتقداتهم " [١٢٨] ،ومما يؤكد عدم انتماء الأفضل للمذهب الإسماعيلى إصداره أمر بابطال الموالد الأربعة النبوى والعلوى ، والفاطمى ، والإمام الحاضر [١٢٩] كما كان يدين بالمذهب السني الوزير المأمون البطائحي وزير الآمر[١٣٠]، كما كان أبو على أحمد (الأكمل ــ كتيفات) وزير الخليفة الحافظ يدين بمذهب الإمامية الأثنى عشرية[١٣١] ، وقد استحدث الأكمل تعيين أربعة قضاة للحكم اثنين من الشيعة واثنين من السنيين ، وأعطى لكل واحد منهم سلطة مطلقة في إصدار أحكامه وفقا لأحكام مذهبه [١٣٢] ، وقيل عن الأكمل أنه لو استمر طويلاً في الوزارة ، لتيسر له القضاء على المذهب الإسماعيلى ، وقد كان الأكمل قد ألقى القبض على الخليفة الحافظ لدين الله [١٣٣].

كما أن الفاطميين أجازوا لأهل السنة في مصر إظهار شعائرهم ، يقول القلقشندى "ومذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ظاهرة الشعار في مملكتهم "[١٣٤]، كما أن الفاطميين اتخذوا القاهرة حاضرة لهم وتركوا مدينة الفسطاط حاضرة المصريين السنيين .[١٣٥] كما اتسم عدد من الخلفاء الفاطميين بتسامحهم مع الفرق الدينية الأخرى ، مثل الخليفة الحاكم بأمر الله الذي ألزم الفقهاء ببث مذهب مالك [١٣٦] وسمح لأتباع مذهب مالك بأن يدرسوا أصول مذهبهم في دار الحكمة [١٣٧] .

* *

الهوامش

١. عُيُون جمع عَيْنُ ، والعَين لها العديد من المعاني ولكنها تعنى هنا الجاسوس . الرازي : محمد بن أبى بكر عبد القادر: مختار الصحاح ، مصر ، المطبعة الأميرية ، ١٣٢٨ هـ ، ١٩١٠م ، ص ٤٩١ ؛ مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ج.م.ع. ، مطابع وزارة التربية والتعليم ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ٤٤٤ .

٢. أحمد عبد الرازق : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٠ م ، ص ٨٧.

٣. المقريزي ، تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ود. محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ /١٩٦٧ م ، ج٢ ، ص ١٢١ .

٤. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٩ .

٥. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ١٠٢

٦. سمير عبد الله سليمان : الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي ٣٥٨ : ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ : ١١٧١ م ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦ م ، ص ٢٢ .

٧. أحمد عبد الرازق : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

٨. كان العيون ضمن تشكيلات الجيش الإسلامي ، وكانوا يتقدمون الجيش لجمع معلومات عن الطريق وعن تحركات العدو ، ومن عناصر الجيش أيضاً الأدلاء والأطباء والنساء لمداواة الجرحى والفعلة من النجارين والحجارين والفرق الموسيقية . أحمد عبد الرازق : المرجع السابق، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

٩. نفسه ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

١٠. قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي : كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيق د. محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ م ، ص٧٧ ؛ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٠٢ .

١١. المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ٩٩ .

١٢. المقريزى : اتعاظ ج١ ، ص ٦٥ ؛على حسنى الخربوطلى (د.): أبو عبد الله الشيعى مؤسس الدولة الفاطمية ، القاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧٢ م ، ص ٥٨ : ٦٢ .

١٣. المقريزى : كتاب المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٣٣ : ٣٥،٩٠ .

١٤. المَسِيلَةُ : بالفتح ثم الكسر ، والياء الساكنة ولام ، وقيل المسيلا : بكسر الميم والسين المهملة وسكون المثناة من تحت وفي أخرها لام ألف ، مدينة بالمغرب تسمى المحمدية نسبة إلى أبى القاسم محمد بن عبيد الله المهدى (القائم بأمر الله) الذى اختطها سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٦ م في عهد والده الخليفة عبيد الله المهدي . ومدينة المَسيلة مدينة قديمة بناها الرومان على تخوم صحراء نوميديا ، وتقع على مسافة ١٢٠ ميلاً أو ١٩٠ كم من مدينة بُجاية ومنها إلى مدينة طبنة أربعة وعشرون فرسخا . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م ، مج ٥ ؛ أبو *الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ) :تقويم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٨٤٠* م ، ص ١٣٩ ؛ ابن الخطيب ، لسان الدين (المتوفى٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م): تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط ، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، تحقيق وتعليق د. أحمد مختار العبادى ، محمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، دار الكتب ، ١٩٦٤ م، ص٦٦ ،٦٧ حاشية ٣؛ ابن الوزان الزياتي ، الحسن بن محمد الوزان الزياتى : وصف إفريقيا ، ترجمة : د . عبد الرحمن حميدة ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥م ، ص ٤٢٤ .

١٥. أسسها بنو رستم ، وكان أخرهم يقظان بن أبى يقظان وقد قتله وجماعة أهل بيته أبو عبد الله الشيعي وبهذا انقضت دولة بنى رستم بتيهرت سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ، وكان لها مائة وثلاثون سنة . ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى ذكر الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س.كولان و.ليفى بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٣ م ، ص ١٥٣ .

١٦. وهم من أشهر قبائل البُتر ومنحازين للخوارج الأباضية ، ومن بطونهم البيت المغراوي والمكناسي .

١٧. Yaacov Lev, "Army, Regime, and Society in Fatimid Egypt, ٣٥٨-٤٨٧/٩٦٨-١٠٩٤", *International Journal of Middle East Studies*, Vol. ١٩, No. ٣ (Aug., ١٩٨٧), p. ٣٣٧.

١٨. محمد بن خَزَر المغراوى من أمراء المغرب المحالفين لعبد الرحمن الناصر الأموي وبني مغراوة إحدى بطون زناتة . و كان محمد بن خزر مسيطراً على الوضع السياسي ببلاد الزاب وتاهرت وغيرهما ، وكان جد الملوك الزناتيين حرب بن حفص بن صولات بن وازمار ابن مغراو مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان أتى به إليه من سبى إفريقية فى أول فتحها ، فأسلم ر لنا ميلهم إلى بنى أمية بالأندلس. ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٥٣ ؛ فتحي زغروت : العلاقات بين الامويين والفاطميين فى الأندلس والشمال الافريقى ٣٠٠ : ٣٥٠ هـ ،القاهرة ، مكتبة السيدة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، ص ١٩٥.

De Lacy O'leary, A short History of the Fatimid Khalifate, London, ١٩٢٣, p. ٧٦.

١٩. ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص ١٠١ ، ١١٦، ١٢٢.

٢٠. De Lacy O'leary, A short History of the Fatimid Khalifate, p. ٧٦.

٢١. ــ ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت سنة ٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م ،ج٦ ، ص ١٩٠ .

٢٢. وكان يقيم في المنطقة التي بُنيت فيها مدينة المسيلة بني كملان ، فأخرجهم منها أبو القاسم ونقلهم إلى فحص القيروان حتى يكونوا بالقرب منه تحسباً لخروجهم على الفاطميين نظراً لأنهم كانوا من مؤيدي أبي يزيد بن مخلد بن كيداد . ابن الأثير: الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٠ .

٢٣. حمدون بن سماك بن منصور الجذامي " من أصل جذامي من بلاد اليمن التي انتشرت فيها الدعوة الإسماعيلية وهاجرت عائلته من الشام إلى مدينة المرية في الأندلس ثم إلى مدينة بُجَّاية بالمغرب الأوسط وحمدون المعروف بلقب أبى عبد الله الأندلسي ذلك الجاسوس الإسماعيلى ، ورفيق الداعي ؛ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، العصر الإسلامي ، ج٢ ، بيروت، ١٩٨١ م.، ص ٥٢٢، ٥٢٣ .

٢٤. الزاب كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البرّ الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطنة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها ،والزاب القسم الجنوبى من ولاية قسطينة بالجزائر ، ومن قواعد الزاب المهمة مدينة طُبنة الرومانية وقد اندثرت اليوم ومدينة بِسكرة ثم مدينة المسيلة انظر :ياقوت الحموي : معجم البلدان مج٣ ، ص ١٢٤؛ الخطيب : المصدر السابق ، ص ٦٦ ، حاشية ٢ .

٢٥. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير، العصر الإسلامى ، ج٢، ص ٥٢٢، ٥٢٣ .

٢٦. فرحات الدشراوي الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦ : ٣٦٥ هـ / ٩٠٩ : ٩٧٥ م) نقله من الفرنسية إلى العربية حَمادي الساحلي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٤ م .

٢٧. فتحي زغروت : المرجع السابق، ص ٢٦٤ .

٢٨. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٥٢٢، ٥٢٣

٢٩. ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ص ١٩٠ .

٣٠. عبد الحليم عويس : دولة بنى حماد ، القاهرة ، دار الصحوة للنشر ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص.

٣١. أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٣٩ . .

٣٢. الدشراوي ، المرجع السابق ، ص ٥١٦ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

٣٣. المقريزي اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ٨٠ ،٨١ .

٣٤. خرج أبو اليزيد مخلد بن كيداد ــ أحد بربر زناته من الخوارج الإباضية النكّارية ــ على طاعة عبيد الله المهدي والفاطميين لرغبته في إعادة الدولة الإباضية الرستمية على مذهب النكارية ،ــ لأنه كان ضمن الذين أنكروا على عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم توليه الحكم ــ وأن تكون حكومة الدولة الجديدة من البربر لا يشترك فيها العرب ، وان يكون الحكم فيها شورى وليس وراثي .كما كان سبب خروجه أيضاً على الفاطميين تفضيلهم بربر كتامة

وإسناد المناصب المهمة اليهم . وقد تمكن أبو اليزيد بن مخلد وأنصاره من فرض حصار حول مدينة المسيلة في سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م أثناء حروبه مع الخليفة المنصور الذي كان يحارب بنفسه استمرت حركة ابن كيداد نحو عشرين سنة ، تمكن خلالها من الاستيلاء على بعض مدنهم مثل : باجة ، مجانة ، رقادة ، وأخذ يناوئ نفوذ الفاطميين في المغرب حتى تمكن الخليفة المنصور الفاطمي ، من إلقاء القبض عليه وقتله في سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧ م . انظر: المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج١،ص ٧٥، ٨٣ ، ٨٤ ؛ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر وسياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ص٢٨، ٢٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ : ٤٧٩ .

٣٥. ابن الأثير: الكامل ، ج٦ ، ص ١٩٠.

٣٦. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص٥٤٤ .

٣٧. الخطيب : المصدر السابق ، ٦٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص٥٤٦ .

٣٨. ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٤٧ .

٣٩. لجأ جعفر بن على بن حمدون إلى الحيلة للعودة إلى الأندلس وهى أنه أثناء القتال بين صنهاجة وزناتة وقع زيري الصنهاجي عن فرسه فقتل ، ولما علمت زناتة أن يوسف بن زيرى يطالبهم بدم أبيه اضمرت الغدر لجعفر وعزموا على امساكه ، وقد شعر جعفر بن على ، بندم زناتة على قتل زيري الصنهاجي ، كما شعر بتغير عن طاعته ، فقال لهم : الأفضل أن نتحصن بالجبال لأن يوسف بلكين لا يترك ثأر أبيه ، فأجابوه إلى ذلك ، فحمل كل أملاكه وأهله وعبيده في المراكب ، وبقى هو مع الزناتيين وأمر عبيده في المراكب بالتشاحن بعضهم مع بعض ، فادعى لزناتة أنه سيذهب إلى المركب ليعرف ما سبب هذه المشاحنات وما أن ركب المركب حتى أسرع بالسير إلى الأندلس حيث الحاكم الأموي" الحكم الثانى المستنصر بالله "الذي أحسن استقباله وأسند إليه الوظائف ، ولم يزل هنالك إلى أيام الوزير ابن أبى عامر فقتله سنة ٣٦٧ هـ / ١٠٠٦ م وارسل رأسه إلى بلكين . انظر : .ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص ٤٨ ؛ ابن أبى دينار ، محمد بن أبى القاسم الرعينى (المتوفى ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م كتاب المؤنس فى أخبار افريقية وتونس ، تونس ، مطبعة الدولة التونسية ، الطبعة الأولى ، ص ٧٣ .

٤٠. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ١٣٩،١٣٤ .

٤١. عثمان أمين هو أحد جواسيس الأمويين فى مدينة المسيلة .الهادىء روجيه إدريس : الدولة الصنهاجية ، تاريخ إفريقية فىعهد بنى زيرى من القرن العاشر إلى القرن الثانى عشر ، ترجمة حمادى الساحلى ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٩٢ م ، ج١ ، ص ٦٨ .

٤٢. كان جوذر من العبيد الصقالبة الذين دخلوا في ولاء عبيد الله المهدي ، ونال ثقته وثقة أبنائه وأحفاده من بعده ، فأسند إليه القائم مهمة النظر في بيت المال وخزائن البز والكساء وجعله سفيراً بينه وبين أوليائه وسائر عبيده ، ولما آلت الخلافة إلى المنصور استخلفه على دار الملك وسائر البلاد وأعطاه مفاتيح خزائن بيت المال ، فأصبح بذلك النائب العام على البلاد كلها نيابة

عن الإمام ، وذلك عندما خرج المنصور لحرب مخلد بن كيداد الخارجي ، وما أن انتصر المنصور حتى أعتقه ولقبه بلقب مولى أمير المؤمنين مكافأة له على خدماته الجليلة . وكان لجوذر نفس المكانة أيضا في عهد المعز . الجوذري ، أبي علي منصور العزيزي الجوذري : سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق/ محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٥ م ،ص ٧ : ١٠ .

٤٣. الجوذري: المصدر السابق ، ص ١٢٣ ،١٢٤ ؛ فتحي زغروت : المرجع السابق ، ص ٢٧٩.

٤٤. ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١ ، ص ٩٩ ، ١٦٢ .؛ فتحي زغروت : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

٤٥. هو إبراهيم بن محمد الضَّبّيُّ المعروف بابن البِرْذَون . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ١٥٤ .

٤٦. الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأُسيدي (٦٠٥ : ٦٩٦ هـ) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجى التنوخي ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٢ م ، ج٢ ، ص ٢٦٨ .

٤٧. هو الحسن بن أحمد بن على بن كُليب المعروف بابن أبى خِنْزِير ولاه أبو عبد الله الشيعيُّ على مدينة القيروان . ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١ ،ص ١٥١ .

٤٨. فتحي زغروت : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

٤٩. الدباغ : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٦٩ .

٥٠. هو محمد بن عُمر بن يحيى بن عبد الأعلى المَرْوَزِيّ ، ولاه أبو عبد الله الشيعى على قضاء مدينة القيروان . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ١٥١ .

٥١. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ؛ الدباغ : معالم الأيمان ، ج٢ ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ؛ فتحي زغروت : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

٥٢. فقد أدخلوا الفقيه الصالح أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون في مجلس وبطحوه على ظهره، وكان السودانيين يقفزون عليه بأرجلهم حتى مات . الدباغ : معالم الأيمان ، ج٢ ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٠.

٥٣. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ١٠٤.

٥٤. فتحي زغروت : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ ، ٢٧٩ .

٥٥. أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، بحث في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مج ٥ ، العدد١ـ٢ ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

٥٦. السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٦٠٨ ؛ الخربوطلى : أبو عبد الله الشيعى ، ص ٢٩ .

٥٧. عبد العزيز فيلالى : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٢٧ .

٥٨. الحبيب الجنحانى : دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، بيروت ، د.ت .، ص ٨٣، ٨٤ .

٥٩. سالم : المغرب الكبير ،ج٢ ، ص ٥٢٢.

٦٠. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٧ م .

٦١. محمود على مكي : التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف ، بحث في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ، مج٢ ، عدد١ـ ٢ ، ص ١١١.

٦٢. ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٩٩، ١٦٢ ؛ فرحات الدشراوي : الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ص ٤٥٥، ٤٥٦

٦٣. محمود مكي : التشيع في الأندلس ، ص ١١٢ ـ١١٣ ؛ فتحي زغروت: المرجع السابق، ص ٢٦٢

٦٤. ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١ ، ص ٩٩ ؛ محمود مكي : التشيع في الأندلس ، ص ١١٢ ـ١١٣ .

٦٥. هاجر الكاتب أبو جعفر محمد من بغداد إلى المغرب فنزل مدينة سجلماسة حيث كانت تقيم جالية بغدادية عندما كان المهدي مقيم بهذه المدينة ، وبايع المهدي فقبل المهدي بيعته وأوفده إلى الأندلس . فرحات الدشراوي :المرجع السابق ، ص ٤٥٦ .

٦٦. محمود على مكى : التشيع في الأندلس ، ص ١١٤ ؛ فتحي زغروت : المرجع السابق ٢٦٣، ٢٦٤ .

٦٧. الحبيب الجنحانى : المرجع السابق ، ص ٧٩ ، ٨٠.

٦٨. محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص ١١٤ .

٦٩. ابن حَوقَل تاجر موصلي سافر من بغداد وطاف البلاد الإسلامية ووصفها كما شاهدها مثل بلاد الأندلس وغيرها من البلاد ، واستمر في رحلته ٢٨ سنة من سنة٣٣١ :٣٦٠ / ٩٤٢إلى ٩٧٠ م، وكان طوافه في الأندلس سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م وألف في رحلته كتاباً سماه المسالك والممالك ولم يكن كتابه يخلو من الأخطاء لأنه غير معتمد عليه في معرفة فن الجغرافيا وأحياناً كان يكتب وصف ما لم يشاهده على السمع . بطرس البستاني : كتاب دائرة المعارف ، بيروت ، ١٨١٦ م، مج ١ ، ص ٤٥١ .

٧٠. محمود على مكي : التشيع في الأندلس ، ص ١١٥ .

٧١. خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠ م ، ج٦ ، ص ١١١.

٧٢. ليفي بروفنسال : الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، تطوان ، دار الطباعة المغربية، ١٩٥١ م ، ص ١٢.

٧٣. ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٠٨ .

٧٤. محمود على مكي : التشيع في الأندلس ، ص ١١٥ .

٧٥. النَّجِدُ) يقال رجلٌ نَجِدُ: ماضٍ فيما لا يستطيعه سواه . (ج) أَنْجَاد .المعجم الوجيز ، ص ٦٠٣

٧٦. ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٠٤ ،١٠٥ .

٧٧. ليفي بروفنسال : الشرق الإسلامي ، ص ١٢ .

٧٨. احمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية، ص ١٩٥

٧٩. من دراستنا لعصر الولاة يتضح لنا مدى تدفق القوات الإسلامية إلى جنوب فرنسا وسيطرتها على مدينة نربونة (أربونة) والتوسع في أوربا ، واذا نظرنا إلى حُكام الأندلس من بني أمية نجد أن عبد الرحمن الداخل (١٣٨ : ١٧٢ هـ / ٧٥٦ : ٧٨٨ م) انتصر على الإمبراطور شارلمان Charlemagne (١٢٥ : ١٩٧ هـ / ٧٤٢ : ٨١٤ م) ملك الفرنج وإمبراطور الغرب، ولا نستطيع أن نغفل المعارك المهمة التي أحرز فيها المرابطين ثم الموحدين النصر على حكام قشتاله على سبيل المثال واقعة الزلاقة[٣] ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م[٤] التي أنتصر فيها يوسف بن تاشفين حاكم المرابطين على ألفونسو السادس ملك قشتالة ، و معركة الأرك[٥] أنظر : حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ؛ عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي ، القاهرة ، دار الإصلاح ، ١٩٨٣ م ، ص ١٩٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ م ؛ منى حسن أحمد محمود : قاعدة نربونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في أوروبا ١٠٢ ــ ١٤٩ هـ / ٧٢٠ ــ ٧٦٦م ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠١ م ، ص ٢١ :٢٥

٨٠. ومما يؤكد هذا ما قيل عن أن ابن حوقل أنه " اطلع على كتاب "المسالك والممالك " لأبى إسحاق الفارسي المعروف بالإصطخري ، فكتبه من جديد ، محتفظاً بعنوانه ، ونسبه إلى نفسه ". ابن حوقل ، أبو القاسم محمد ابن حوقل البغدادي (ت في أواخر القرن الرابع الهجري) اب ن حوقل : صورة الأرض ، بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٩٢ م ، ص ٦ "

٨١. أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨ ، ص ٦٩ .

٨٢. حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٢٢ .

٨٣. فتحي زغروت ، المرجع السابق ، ص ٢٤١، ٣٩٢ .

٨٤. العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠١ .

٨٥. كان هؤلاء الأندلسيين مقيمين في سبته مع بني عصام من البربر حلفاء الفاطميين ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ٢٠٠١ م ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

٨٦. دائرة المعارف الإسلامية ، ج٤ ، ص ٤٨٩ ؛ محمد محمد زيتون : القيروان ودورها فى الحضارة الأسلامية ن القاهرة ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٤١ .

٨٧. انظر : البكري،أبو عبيد الله بن عبد العزيز ، ت ٤٨٧ هـ ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، د. ت .، ص ١٠٣ ابن عذراي ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت أواخر القرن السابع الهجري): البيان المغرب في أخبار المغرب ، تحقيق ج..كولان و إ.ليفي بروفنسال ، بيروت ، د.ت. ، ص ٢٠٤ ؛ مجهول المؤلف : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٣٦.

٨٨. محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ م ، ج٢، ص ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

٨٩. كانت المحاولة الأولى سنة ٣٠٢ هـ/ ٩١٤ م وقد تصدى لها حاكم مصر تكين بن عبد الله الحربي الذي ولى على صلاة مصر من قبل الخليفة العباسي المقتدر سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م وقد نجح تكين ــ قبل أن تصل الإمدادات بزعامة مؤنس الخادم ــ في إحراز النصر على الجيش الفاطمي الذي كان بزعامة حُباسة بن يوسف ، وأجلاه عن الإسكندرية وبرقة ، وعاد إلى إفريقية حيث قتله الخليفة الفاطمي . أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ،القاهرة ، مكتبة دار الشعب ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م، ج٢ ، ص ٥٠٣ .

٩٠. أسمه ذكاء أبو الحسن، السيوطى ،جلال الدين عبد الرحمن:حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧م،ج١،ص ٥٩٦

٩١. ولى ذكا الرومي أمرة مصر بعد عزل تكين بتحريض من القائد مؤنس الخادم للخليفة المقتدر ، فقد تخوف مؤنس الخادم من أن يثير انتصار تكين على الفاطميين في نفسه الأطماع ، فاقترح على الخليفة عزل تكين ، فعزله وعين ذكا الرومي أميراً على الصلاة ، أما الوالي على الخراج ، فقد ظل هو أبو الحسين بن أحمد الماذرائي المعروف بابن زنبور . الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) : ولاة مصر ، د. م ، د . ت . ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ ؛ أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، ج٢ ، ص ٥٠٣ .

٩٢. الكندي : ولاة مصر ، ١٣٥ ، ١٣٦ ؛ أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، ج٢ ، ص ٥٠٣

٩٣. السبب الحقيقي لاختفاء الخليفة المعز أنه كان مُغرىً بالنجوم والنظر فيما يقتضيه الطالع ، ويعمل وفقاً لأقوال المنجمين ، وقد قال له أحد المنجمين بعد أن نظر في مولده وطالعه " إن عليه قطع فيه في وقت كذا فاستشار منجمه فيما يزيله عنه ، فأشار عليه بعمل سردابٍ تحت الأرض يختفي فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت " أبو المحاسن ، جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، د. ت.، ج٤ ، ص ٧٠، ٧١

٩٤. المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ٢٣١ .

٩٥. على حسنى الخربوطلي : مصر العربية الإسلامية السياسة والحضارة فى مصر فى العصر العربى الإسلامى منذ الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٦٣ م ، ص ١٥٦ ؛ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة، ١٩٨٤ م ، ج٥ ، ص ١٤٠ .ويذكر الدكتور أحمد شلبي " انه ينسب للحاكم انه اصطنع نظام التجسس " ولكننا رأينا أن هذا النظام كان موجوداً من قبل .

٩٦. المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ٧٦ ، ٨٠ .

٩٧. المقريزي : المصدر السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

٩٨. المقريزي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥٢ .

٩٩. آل الجراح من عرب فلسطين ، عُرف عنهم حبهم للمال ، فكانت مصالحهم المادية هي التي تحدد علاقاتهم بالفاطميين إن كانت وداً أم عداءً عارف تامر : الحاكم بأمر الله ــ خليفة . وإمام. ومصلح ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٦٣،٤٧ .

١٠٠. محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

١٠١. المرجع السابق ، ص١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

١٠٢. المرجع السابق ، ص ١٤١ .

١٠٣. أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٧ م ، ص ١٨٥ .

١٠٤. سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤١ ، ١٤٢.

١٠٥. المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ١٥ .

١٠٦. دبر الخليفة الآمر مع المأمون مؤامرة لقتل الأفضل سنة ٥١٥ هـ / ١١٢٠ م لاستبداده وانفراده بالسلطة . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ٢١٨ .

١٠٧. كان والد المأمون البطائحى من "جواسيس الأفضل بالعراق "ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨، ص ٣١٩ .

١٠٨. ابن الصيْرفي ، على بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيْرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة ، عنى بتحقيقه والتعليق عليه عبد الله مخلص ، القاهرة ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ، ١٩٢٤ م ، ص ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

١٠٩. كان الحسن بن صباح قد قدم إلى مصر سنة ٤٧٩ هـ / ١١٠٣ م ليتعمق في دراسة المذهب الإسماعيلي في دار الحكمة وفي غيرها من مجالس الدعوة بالقاهرة وقد سأل الحسن بن صباح الخليفة " المستنصر بالله " من الإمام بعدك ؟ فقال له ابنى نزار ، بينما يرى البعض أن

الحسن بن صباح لم يقابل الخليفة المستنصر بالله طوال فترة إقامته بالقاهرة . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ١١٣ : ١١٦ .

١١٠. .لأن المستعلي هو زوج أخت الأفضل ، هذا بالإضافة إلى الضغائن التي كانت بين الأفضل ونزار . جمال الدين الشيال ، مجموعة الوثائق الفاطمية ، القاهرة ، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٥٨ م، ص ٥٣ .

١١١. المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ج٣ ، ١٥ ، ١٠٨ .

١١٢. الخربوطلي : مصر الإسلامية ، ص١٦٨ ، ٢٣٦ .

١١٣. المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ١٠٨ .

١١٤. نفسه

١١٥. الصقْعُ : الناحية ج أصقاع ، المعجم الوجيز ، ص ٣٦٧ .

١١٦. المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ١٠٨ .أحداث سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م .

١١٧. بلبيس مدينة قديمة بمصر كثيرة الخيرات عظيمة البركات إلا أنها الآن خراب بالجملة . القرماني ، أحمد يوسف (ت ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م) : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، دراسة وتحقيق د. أحمد حطيط ــ د. فهمي سعد ، بيروت ، عالم الكتب ، مج ٣ ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م ، ص ٣٢٢

١١٨. المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ١٠٨ .

١١٩. نفسه

١٢٠. أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج٤ ، ص ٢٩٣ .

١٢١. سرور : الدولة الفاطمية ، ص ٧٩ ، ٨٠.

١٢٢. حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، القاهرة، المطبعة الأميرية ، ١٩٣٢ م ، ص ١٧٩ ، ٢١٨ .

١٢٣. سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٨٠ : ٨٢ .

١٢٤. المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ٣٢٦ .

١٢٥. الحاكم بأمر الله (٣٨٦ : ٤١١ هـ / ٩٩٦ : ١٠٢٠ م) ولى حكم مصر وكان سنه إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيامّ ، ثم بويع ابنه الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١: ٤٢٧ هـ / ١٠٢٠ : ١٠٣٥ م) بالخلافة وله من العمر ست عشرة سنة وثلاثة أشهر ، ثم ولى المستنصر بالله (٤٢٧ : ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ : ١٠٩٤ م) وعمره سبع سنين ، أيضاً بويع للأمر بأحكام الله (٤٩٥ : ٥٢٤ هـ / ١١٠١ : ١١٣٠ م) بالخلافة وهو طفل له من العمر خمس سنين وشهر وأيام ، وعندما آلت الخلافة إلى الظافر بأمر الله (٥٤٤: ٥٤٩ هـ / ١١٤٩ : ١١٥٤ م)، كان عمره سبع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام ، أما الفائز بنصر الله (٥٤٩ : ٥٥٥هـ / ١١٥٤ : ١١٦٠ م) ، فقد بويع بالخلافة وهو صبى صغير ابن خمس سنين وعشرون يوماً ، وبويع أخر حكام الدولة الفاطمية وهوالعاضد لدين الله (٥٥٥ : ٥٦٧ هـ / ١١٦٠ :

١١٧١ م) وعمره يومئذ تسع سنين وستة أشهر وسبعة أيام .أنظر :المقريزى اتعاظ الحنفا ، ج٢، ص ٣ ،٤ ،١٢٤ ، ج٣ ، ص ٣١، ١٩٣،٢١٤ ، ٢٤٣ .السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ٦٠٣، ٦٠٤ ، ٦٠٩ .

١٢٦. أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤١ ، ٢٢٢ .

١٢٧. المقريزي اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

١٢٨. ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٠٣ .

١٢٩. ابن المأمون البطائحى ، جمال الدين أبو على موسى بن المأمون البطائحى (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م): نصوص من اخبارمصر، للقاهرة، ، ١٩٨٣ م ؛ ص ٦٢ .

١٣٠. ابن مُيسر ، محمد بن على بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) : "تاريخ مصر" ، القاهرة ، ١٩١٩ م ، ج٢ ، ص ٦٩ .

١٣١. ابن ظافر : أخبار الدول المقطعة مخطوط ، ورقة ١٧٠ ؛ اتعاظ الحنفا ، ج٣، ص ١٤٠ .

١٣٢. ابن ميسر : أخبار مصر ، ج٢ ، ص ٧٤ .

١٣٣. ابن ظافر : أخبار الدول المقطعة مخطوط ، ورقة ١٧٠ ؛ اتعاظ الحنفا ، ج٣، ص ١٤٠ .

١٣٤. القلقشندى ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علـى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) : صـبح الأعشى فى صناعة الإنشا، القاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م ، ج٣ ، ص ٥٢٤

١٣٥. عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٣٢٣ ، ٣٥٠ .

١٣٦. الذهبى ، الحافظ شمس الدين (٦٧٣ـ ٧٤٨ هـ) :كتاب دول الأسلام ، تحقيق فهيم محمـد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتـاب ، ١٩٧٤ م ، ج١ ، ص ٢٤٥ .

١٣٧. عارف تامر : الحاكم بأمر الله ، ص ٨٩.

* * *